الفصل الأول

المنهج الإسلامي في الخلاف

- حوار هادئ مع فكر خاطئ
- الحوار بين الله ومخلوقاته
- منهج الرسل في الحوار
- الحوار مع الكافرين
- الحوار مع أهل الكتاب

تعريف الاختلاف والحوار

الاختلاف في اللغة هو عدم الاتفاق سواء في الرأي أو في العمل بمعنى أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله.

والخلاف أعم من المخالفة، الاختلاف قد يفضي إلى التنازع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا ﴾ (آل عمران ١٠٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (النور ٦٣).

وفى الاصطلاح الخلاف يكون في قول لا يبنى على دليل والاختلاف فيما بنى عليه دليل[١]

والتفرق والافتراق هو الابتعاد سواء في الأبدان أو في الكلام [٢]

قال تعالى عن السحر ﴿ يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ (البقرة ١٠٢).

وفى حوار النبي موسى لأخيه هارون قال الله تعالى على لسان نبيه هارون ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ (طه ٩٤).

الحوار هو الجواب والمجادلة[٣]

وفى القرآن الكريم ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ (الكهف ٣٧).

وقال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ (المجادلة ١).

---

(١) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية نقلا عن أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور طه العلوانى حره.
(٢) لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٢٢٩ ط بيروت
(٣) المعجم الوسيط حرى ٢٠ ط أحياء التراث بدولة قطر

حوار هادي مع فكر خاطىء

إنه مما يسيء إلى الفكر الإسلامي وأهله ظاهرة طرأت حديثا على المجتمعات الإسلامية وتمثلت في بعض الأفراد الذين يلجأون إلى وسيلة غير مقبولة أو منبوذة لنصرة فكرهم فيعلنون أنهم وحدهم أصحاب الصراط الواحد المستقيم وأن غيرهم في ضلال، وحجتهم في ذلك أن الدين واحد والمصدر واحد والصراط واحد والفهم واحد.

على الرغم أن هذه الظاهرة لا تمثل إلا شريحة قليلة جدا في المجتمع الإسلامي، لكنها منهج لمدرسة فكرية، وهؤلاء الشباب هم رواد المدرسة وجنودها المخلصون ولهذا كان لابد من تصحيح المفاهيم الأساسية لهؤلاء، والأهم في التصحيح ليس النتائج المترتبة على هذا الفكر بل هو المنهج الذي يعتبر المصدر الأساسي للنتائج الخاطئة التي يغرسها هذا المنهج .

إنه يمكن حصر الخطأ المنهجي في أمرين هما :

(١) خطاب التكفير .

(٢) العصمة الكاذبة .

خطاب التكفير :

على الرغم من أن هذه المدرسة لا تكفر من خالفهم من المسلمين فإنها تستخدم معهم خطاب التكفير فيزعم شبابها بل وبعض شيوخها أنهم أصحاب الصراط الواحد وأن غيرهم من الأفراد والجماعات في ضلال، وهم لا يجهلون أن الصراط الواحد هو الإسلام وغيره هو الكفر البين، كما يقولون إنهم الفرق الناجية وغيرهم من المسلمين هم من الفرق الضالة التي أنبأنا النبي ﷺ بافتراقها إلى النار، وهؤلاء لا يجهلون أن الله وحده هو الذي يعلم مصير المسلمين في الجنة أو النار وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء ٤٨)، وكما تناسى هؤلاء أن الحديث النبوي بشأن افتراق الأمة له أكثر من رواية في بعضها قال النبي ﷺ (كلهم في النار إلا ملة واحدة) والملة تعنى ملة الإسلام وبالتالي فالذين افترقوا إنما إلى الكفر، وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ (أعظمها فتنة الذين يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال) وهذا يعنى أن الافتراق إلى الكفر، لهذا قال الإمام الشاطبى إن هذه الفرق

تحتمل من وجهة النظر أن يكونوا خارجين عن الملة بسبب ما أحدثوا فهم قد فارقوا أهل الإسلام وليس ذلك إلا الكفر الاعتصام ج ٤ ص ١٩٠هؤلاء الشباب والذين لا يكفرون من خالفهم يستحلون الأضرار بغيرهم حتى أن بعضهم عمل لحساب جهات أمنية للأضرار بالجماعات الأخرى ولقد ننسى هؤلاء أن ادعاء كفر المسلم أو لعنه من شأنه أن يرتد على صاحبه فقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن" لذلك فإن استخدام خطاب التكفير في مواجهة المخالفين من المسلمين هو أخطر مزالق الخطأ لدى هؤلاء الشباب.

العصمة الكاذبة

نسجل هنا أن أصحاب هذا الفكر لا يدعون العصمة لأنفسهم ولكن الخطأ الأكبر في منهج هذه المدرسة في ادعاء أنه لا يوجد إلا فهم واحد هو فهمهم، فمن حاد عنه فقد ضل وأضل، بهذا يضفون على أنفسهم عصمة لو تعمدوها لكان مكانهم المصحة، كما أنه في سبيل اقتناع غيرهم بهذا الفهم الواحد يستدلون ببعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية ويخفون ما قاله السلف الصالح أى المعنى الذي عليه جمهور الأمة، كما يستدلون بأدلة من القاموس الشيوعي،

فعلى سبيل المثال :

(أ) يستدلون بقول الله تعالى ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ (يونس ٣٢) وقد أخفى هؤلاء السياق القرآني والذي يتضح منه أن الضلال هنا خاص بكفار ينكرون اختصاص الله بالتشريع والحكم ويسلمون له بالخلق والرزق، وبالتالي يشركون مع الله تعالى القائل ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (يونس ٣١-٣٢)، فالحق هنا هو الله تبارك وتعالى وليس فهم هؤلاء، والضلال هو مادون الله وليس المسلم الذي يخالف رأي هذا الحزب أو هذه الجماعة .

(ب) يقول بعضهم إن كل أمور المسلمين موقوفة على الخلافة لأنها النظام الإسلامي الأوحد وأن السبيل الوحيد إليها هو البيعة لقول النبي ﷺ "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" رواه مسلم ٢٣/٦ وقد تناسى هؤلاء أن اختيار الأمير أو الخليفة يسبق البيعة والبيعة هي عقد بين الحاكم والشعب، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بعد الانتهاء من مرحلة اختيار الحاكم،وهذا الاختيار ورد فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار " أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم" رواه البخاري – فتح الباري ١٦ / ١١٣.

وهذا الخطاب موجه للناس الذين سيمثلهم هذا الأمير ومن ثم فالأصل والأولى هو اتفاقهم جمعيا على شخص منهم، فإذا تعذر الإجماع فلا يسمى اختيار إلا من أيدته الأغلبية، وليس مباحا أنه عند وجود خليفتين يجب قتل الأخير منهما وإن كان هذا هو ظاهر النص.

فالحديث النبوي غير مراد منه القتل فهو على سبيل الزجر مثل حديث الهم بحرق بيوت من يتخلفون عن صلاة العشاء والفجر في المسجد ولا جدال أن انعقاد الخلافة أو الإمامة أو الإمارة لاثنين في إقليم واحد أمر يؤدى إلى النزاع بل قد يؤدى إلى الحرب ولهذا تحرم بيعة كل منها .

(ج) وقيل لا يوجد في الإسلام سوى مسمى الخليفة وأن البيعة هي السبيل الوحيد للخلافة،وهذا فيه خلط في البيعة وطرق اختيار الحاكم وفيه إلغاء لتاريخ المسلمين، فلم يرد نص في القرآن الكريم أو السنة النبوية يحدد طريقة اختيار الحاكم، لأن ذلك مما يتغير بإختلاف الزمن و المكان فيجوز أن يكون الاختيار من أهل الشورى أولا ثم من الشعب بعد ذلك، ويجوز أن يرشح أهل الشورى من أهل الشورى من هو أهل للرئاسة وذلك ليتم الاختيار من الناس والذي لا خلاف عليه هو أن الاختيار للأمة لقول الله تعالى (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) وللحديث النبوي السابق الإشارة إليه أما البيعة فهي الإجراء الثاني لهذا الاختيار وهي كما عرفها ابن خلدون " العهد على الطاعة " المقدمة ج ٢ ص ٥٤٩، فالبيعة عقد بين الخليفة و الأمة للتأكيد أنه نائب عنها فلها محاسبته وعزلة، أما تسمية رئيس الدولة فقد تسمى أبو بكر الخليفة وفي هذا قال: "لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ﷺ "الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٢٧. وفي هذا قال

النبي ﷺ " أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين " رواه البخاري ص ٩٦ وقد أطلقوا على الخليفة الثاني خليفة خليفة رسول الله فلم يستحسن ذلك لأن الرؤساء من بعده سيتكرر معهم لفظ خليفة بعدد الخلفاء بعد النبي ﷺ، ولهذا قال " بل أنتم مؤمنون وأنا أميركم " لهذا سمي الخليفة الثاني والخلفاء من بعده باسم أمير المؤمنين ولم يتسم بالخليفة.

(د) قالوا بكفر اسم الديمقراطية حتى لو التزمت هذه الديمقراطية بالإسلام وتناسوا أن لفظ الديمقراطية ليس كفرا في ذاته وإنما في مضمونة إذا كان يخول البرلمان حق التشريع من دون الله، فإذا التزمت أي دولة إسلامية بعدم التشريع بما يعارض الإسلام كانت ديمقراطيتها إسلامية وإذا تمخضت الخلافة عن نظام يعادي الإسلام ويحلل ويحرم دون الله كان نظاما طاغوتيا.

(هـ) وقالوا لا تعامل مع غير المسلمين إلا بالجزية مع أنها عقد رضائي، كما أنه صلى الله عليه وسلم قد وادع بني مدلج دون أن يدفعوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وعاهد بنى ضيره على أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأن ينصرهم على من يداهمهم وذلك مقابل ألا يغزوه وألا يعينوا عليه عدوا .وحالف قبيلة خزاعة مع كفرها في مواجهة قريش على أن ينصرها عند الاعتداء عليها.

ولهذا لما خرج نفر من قريش متنكرين وقتلوا عشرين رجلا من خزاعة ذهب عمرو بن سالم الخزاعى إلى المدينة مستنصرا بالنبي صلى الله عليه وسلم فكانت غزوة الفتح.

الخلافات الفقهية:

يزعم هؤلاء أن الدين له فهم واحد هو فهمهم، ونذكرهم أن الأسباب التي أدت إلى الخلافات الفقهية يمكن حصرها في عشرة أسباب هي:

١ – عدم معرفة الحديث النبوي .
٢ – الشك في ثبوت الحديث .
٣ – الاختلاف في فهم النصوص .
٤ – عدم وجود النص .
٥ – الخلاف في قواعد دلالة الألفاظ .
٦ – الدلالة الظنية المشتركة .
٧ – الخلاف في دلالة العام .
٨ – دلالة الأمر والنهى .
٩ – الخلاف في الدلالة المتفق عليها .
١٠– الخلاف بسبب الأدلة المختلف عليها

وسنختار من هذه الأسباب سببا واحدا هو الخلاف بسبب اللفظ المشترك أو الدلالة الظنية، فنشير إلى أن الأمور قطعية الدلالة قليلة وأن غالبية النصوص ظنية الدلالة،وبالتالي فالأمور التي اختلف فيها الفقهاء أكثر من أن تحصى ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه أن الاختلاف في الأحكام أكثر من أن ينضبط، مجموع الفتاوى٢٤ /١٢٣ فلا يوجد فهم واحد كما يزعمون.

ورتب شيخ الإسلام على ذلك أنه ليس للحاكم أن ينقض حكم من سبقه في مثل هذه المسائل، وليس للعالم ولا المفتي أن يلزم الناس بأتباعه في مثل هذه المسال ولهذا لما استشار الخليفة هارون الرشيد، مالكا أن يحمل الناس على كتابه الموطأ، منعه الإمام لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في البلدان وأخذ كل قوم من العلم ما بلغهم، وقد صنف رجل كتابا في الاختلاف فقال الإمام أحمد لا تسمه كتاب الاختلاف ولكن سمه كتاب" السعة" مجموع الفتاوى٣./ ٧٩١ .

الظنى الدلالة والخلاف بسببه :ـ

الظني الدلالة هو اللفظ الذي يدل في اللغة على أكثر من معنى وهذا يكون في الفعل والاسم والحرف، فمثلا الفعل "قضى" يأتى بمعنى حكم وأمر وأعلم، "والقرء" اسم يطلق على الطهر وعلى الحيض، والحرف "من" يكون، بمعنى الابتداء كقول الله تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ (الإسراء ١).

ويكون للتبعيض كقول الله تعالى ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران ٩٢)، أي بعض ما تحبون ويأتي بمعنى البدل لقول الله تعالى ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (التوبة ٣٨).

وهذه الألفاظ المشتركة توجد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وبسبب هذا الاشتراك في أكثر من معنى فإن دلالة هذه النصوص دلالة ظنية وهذا كان محل خلاف بين الفقهاء في معناها ولم يقل أحدهم أن رأيه هو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال

المنهج الإسلامي مع الخصوم

لقد قص القرآن الكريم الحوار بين الله تعالى ومخلوقاته وخص الله أتباع الديانات بحوار ونداء متنوع وتمثل هذه الأنواع الأربعة من الحوار منهجا إسلاميا غاب عن بعض المتنطعين من المسلمين ولهذا نذكر لمحة عن أنواع الحوار سالف الذكر.

أولا: الحوار بين الله ومخلوقاته:

لقد تضمن القرآن الكريم وهو كتاب الله تعالى أن الله عز وجل قد خاطب نفرا من خلقه بكيفية لا نعلمها، وسطر أيضا جواب المخلوقين على الله خالقهم.

وما قص علينا القرآن الكريم ذلك إلا ليعلمنا أدب الحوار، فعلى سبيل المثال:

(١) من هذا الحوار مع الملائكة في سورة البقرة الآيات (٣٠:٣٣) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

إن قول الملائكة لله تعالى ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ لم يكن اعتراضا منهم على ربهم، بل على سبيل الاستعلام عن الحكمة من إسناد هذه المهمة إلى آدم وذريته وقد سبقهم إلى ذلك الجن ففسقوا وأفسدوا في الأرض في حين أن الملائكة قد خلقوا من نور وبحكم طبيعة هذا التكوين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ كما ورد في سورة التحريم "٦" لهذا كان جواب الملائكة على ربهم ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

في هذا المشهد ترك الله للملائكة حرية الحوار مع خالقهم والتعبير عن فهمهم ورأيهم ثم تركهم يصلون إلى عجزهم عن القيام بهذه المهمة حيث طلب منهم أن يخبروه عن أسماء المخلوقات الأخرى ومهامها في الأرض[1]

فما كان منهم إلا أن أيقنوا خطأ فهمهم، واعتذروا على النحو سالف الذكر.

(٢) وسجل القرآن الكريم حوار إبليس مع خالقه منه قول الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأعراف ١٠-١٨).

(٣) كما سجل القرآن الكريم الحوار الذي دار بين الله تعالى ونبيه إبراهيم قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾. (البقرة ٢٦٠).

(٤) وسجل القرآن الكريم الحوار الذي دار بين الله تعالى ونبيه موسى عندما جاء إلى المكان الذي حدده الله له لتلقى التوارة وفي هذا قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ

(١) الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى أدب الحوار ص ١٢٥ طبعة سنه ١٩٩٩ القاهرة مكتبة نهضة مصر.

مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الأعراف ١٤٣، ١٤٤).

(٥) كما سجل القرآن الكريم مشهد من الحواريين نبيه عيسى والمقربين إليه من أصحابه وفيه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المائدة ١١١ – ١١٥).

(٦) ومن هذا الحوار بين الله وبين رسوله نوح الذي طلب من ابنه أن يظل مع المؤمنين ويركب معهم حتى لا يهلك غرقا مع من سيهلكهم الله تعالى من عباده لتمردهم على خالقهم فرفض الابن وقال سأصعد إلى جبل يعصمني من الماء ورفض جواب أبيه بصفته رسول الله أنه لا عاصم اليوم من أمر الله لكن مع هذا التمرد من هذا الابن طلب أبوه من الله تعالى أن يعفو عن هذا الابن العاق لأن وعده أن ينجيه وأهله من الغرق فكان هذا الحوار بين الله تعالى ورسوله نوح، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (هود ٤٥ ـ ٤٨).

ثانيا: منهج الرسل في الحوار مع الخصوم:

لقد سجل القرآن الكريم الحوار الذي دار بين رسل الله وبين خصومهم من الكافرين المعاندين.(١)

لقد ورد ذلك في عدة سور من القرآن الكريم ونكتفي هنا مما ورد في سورة إبراهيم وعلى الأخص الآيات ٩ ـ ١٤.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ

(١) المرجع السابق ص ١٣٥-١٧٧

لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ (إبراهيم ٩ ـ ١٤).

ولقد سجل القرآن الكريم الحوار الذي كان بين كل رسول أو نبي وقومه وأعاد ذلك في عده سور يركز في كل منها على أدب الحوار ومنهج من مناهج الله للناس .

ونكتفي هنا بالحوار الذي كان بين نبي الله شعيب الملقب بخطيب الأنبياء وبين قومه أهل مدين حيث تمسك كبراؤهم بفصل الدين عن الدنيا حتى يكونوا أحرار في ظلمهم للناس وأكلهم أموال الناس بالباطل .

قال الله تعالى: ﴿ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (هود ٨٤ ـ ٩٥).

ثالثا: الحوار مع الكافرين:

لقد رسم الله تعالى للمؤمنين كيفية مواجهة الذين ينكرون الألوهية ويزعمون أن القرآن هو أساطير الأولين هذا المنهج هو التدرج معهم في الحوار فأورد الله مقولتهم والرد عليها في مواضيع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ (الفرقان ٥، ٦).

إن الله تعالى بعد أن كذبهم في مزاعمهم وأمر نبيه أن يقول لهم أن هذا القرآن منزل من عند الله سبحانة وتعالى .

حاورهم عن طريق التحدي أن يأتوا بسحر مثله طالما يزعمون أنه سحر وأساطير الأولين . وقد تدرج معهم في الحوار والتحدى على النحو التالي:

(١) قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الطور ٣٣ ـ ٣٧).

(٢) ولما عجزوا أن يأتوا بكتاب مثل القرآن الكريم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (هود ١٣).

(٣) ولما عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور من القرآن الكريم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله وذلك مع وجود سور صغيرة لا تزيد عن ثلاث آيات قصار مثل سورة العصر و سورة الكوثر .

لقد ورد هذا التحدي في حوار فيه يقول الله تعالي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة ٢٣ ـ ٢٤).

إن ما سطره القرآن الكريم من الحوار مع الكافرين تعجز هذه الصفحات عن تسطيره فقد ورد هذا الحوار في صورة جواب من الله تعالى على مزاعمهم بعد أن سطرها أو في صور أخرى من الحوار الذي كان بين الرسل والأنبياء وبين قومهم

إن هذا الحوار مع الكافرين بالله تعالى ورسله قد تضمن تحديا أن يأتوا بمثل هذا القرآن وأمام عجزهم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله ثم أما كعجزهم تحداهم أن يأتوا بسور واحدة مثله .

والأعجاز هنا ليس في عدم قدرة الكفار في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بسورة صغيرة من مثل كلام الله .

بل قطع وجزم أن الناس لن يستطيعوا في الحاضر وفي المستقبل في جميع العصور والأزمان أن يأتوا بسورة مثل كلام الله تعالى وما زال هذا التحدي مستمرا وهو أبلغ حوار مع الكافرين .

رابعا الحوار مع أهل الكتاب

يسجل القرآن الكريم النماذج من الحوار الواجب مع أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فاليهود كتابهم التوارة وفيها قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ (المائدة ٤٤).

والنصارى كتابهم الإنجيل وفيه قال الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (المائدة ٤٦).

لقد أمر الله بمخاطبة اليهود والنصارى بالتي هي أحسن وأول ذلك أن سماهم أهل الكتاب، وأمر نبيه أن يوجه لهم أكثر من نداء، يذكرهم بما عندهم من الكتب المنزلة من عند الله، والتي تدعوا إلى توحيد الله، وألا يتخذوا الأحبار والرهبان آلهة مع الله.

كما أمرنا الله بالتزام منهج المودة والأخوة في الحوار مع المسالمين من أهل الكتاب.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت ٤٦).

وقد سجل القرآن الكريم نماذج من الحوار الواجب مع أهل الكتاب نذكر منها :

(١) قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (المائدة ١٨، ١٩).

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (آل عمران ٦٢ ـ ٦٨).

(٣) ولما انحراف أهل الكتاب عن دينهم وزعم بعضهم أن عيسى ابن الله وزعم آخرون أن الله نزل إلى الأرض في شخص عيسى والشريك بينهما هو جبريل وهو ما يشكل عقيدة التثليث وفيها أن الله هو ثالث هؤلاء الثلاثة.

أورد القرآن في مواضع كثيرة نداء الله لهم الذي يمثل طريقة الحوار معهم في التحريف، نكتفي هذا بنقل موضع من أثنين من هذا الحوار أحدهما الوارد في أخر سورة النساء والأخر في سورة المائدة.

أ- **الحوار الأول:**

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ ﴾ (النساء ١٧١ـ١٧٣).

ب- الحوار الآخر:

أما الحوار الآخر فوارد في سورة المائدة في قوله الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ (المائدة ١٥-١٧).

الحوار مع بنى إسرائيل

أما اليهود وهم سلالة نبي الله يعقوب والذي يسمى أيضا إسرائيل ومن ثم فهم بنو إسرائيل ، فقد خصهم القرآن الكريم بالذكر في أكثر من سورة رغم أنه لم يكن لهم شأن يذكر عند نزول القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي ولعل السبب في التركيز عليهم حتى في السورة القصيرة هو التحذير من وسائلهم غير الشريفة وأيضا التحذير من عودة الاستبداد في نظام الحكم على نحو النظام الفرعوني) أي إلغاء أي حق للشعوب وما عليهم إلا الثناء على الحاكم لأنه لا ينطق عن الهوى وهكذا يحذر القرآن الكريم من الخطر الاستبدادي والخطر الصهيوني قبل ظهور أي منهما بقرون.

لو اكتفينا بما ورد عن بني إسرائيل واحدة في هي سورة البقرة لاتسع هذا البحث إلى مجلد كبير فما بالنا لو تتبعنا ما جاء في جميع سور القرآن الكريم عنهم.

نكتفى هنا ببعض مارد عنهم في سورة البقرة، فعلي سبيل المثال:

(أ) ذكرهم الله بنعمه عليهم وإنقاذهم من استبداد الفراعنة حيث كانوا يسومونهم سوء العذاب ويقتلون الأبناء ويبقون البنات إحياء للخدمة. وذكرهم بإنقاذهم من البحر عند هروبهم من فرعون وجنوده وإغراق الله لعدوهم. وناشدهم ألا ينقضوا عهودهم وألا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وألا يلبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون.

وذكرهم بانحرافهم وعبادتهم العجل وعفو الله عنهم فإذا بهم يطلبون من نبيهم موسى أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم يشعرون ثم أحياهم الله بعد مماتهم وهم ينظرون ذلك.

وقد خصهم الله وهم في صحراء سيناء أن أظلهم الغمام من الحر وأنزل الله لهم المن والسلوى ليأكلوا من طيبات الله فإذا هم يتنكرون لجميع نعم الله عليهم.

(ب) فيما يلي بعض نماذج ما أورده القرآن الكريم عن ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة ٥٨-٦١).

من خصال الإسرائيليين :

لقد أخذهم الله بالصاعقة فأماتهم وهم ينظرون ويشعرون ثم عفا عنهم وأحياهم ورفع فوقهم جبل الطور فاستغاثوا أن يعفو عنهم ثم اعتدوا يوم السبت الذي ألحوا أن يكون لهم يوما للعبادة لا يتاجرون فيه ولا يعبثون فلما تكرر اعتداؤهم جعلهم قردة نكالا من الله وموعظة لهم ولغيرهم وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم

مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (البقرة ٦٣-٦٦).

لقد حذر النبي ﷺ من هذه الخصال وكثرة الجدل فقال (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .

ومن أمثلة الجدل لدى بني إسرائيل ما أورده القرآن الكريم عن تحديهم نبيهم موسى أن يعرف القاتل فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل بقطعة من لحمها عندئذ سينطقه الله ويتكلم ويذكر اسم قاتله فما كان منهم إلا أن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾. (البقرة ٦٧-٧٤).